

الكلمات المفتاحية :

- سورية القديمة.
- الفينيقيون .
- التجارة القديمة.
- النظام الاقتصادي القديم.
- نظام الحكم في القديم .

1 - أهمية موقع بلاد الشام :

نظرا لموقع الساحل السوري على الطريق الدولي الذي يربط بين ثلاث قارات: أفريقيا، وآسيا، وأوروبا فإن سكان سورية بصفة عامة كانوا خليطا من أجناس مختلفة، غير أن أغلبهم ينتمون إلى جنس البحر المتوسط، وقد امتزجوا منذ أقدم العصور مع الجنس السامي، ذلك لأن شبه جزيرة العرب كانت على حدود بلاد الشام الجنوبية .

يلاحظ بأن سوريا لم تكن في عصور ما قبل التاريخ أهلة بعدد كبير من السكان، بل هناك متسع لغيرهم فلما جاءت الهجرات السامية الكبيرة في حوالي 3000 ق.م ، أستقر الكنعانيون في الغرب، كما توضع الأموريون في الوسط والشرق، بل إن بعضهم نزلوا بالعراق¹. ومع أننا لا نعرف عن الكنعانيين الذين كانوا في أقصى الغرب أنهم كونوا دولة وإمبراطوريات في الألف الثالث ق.م، إلا أننا نرجح أن البلاد كانت مقسمة يحكمها زعماء وأمراء يعيشون في مدن صغيرة، وكان الكنعانيون والأموريون على اتصال بمدن مصر والعراق، كما كانت المنطقة الشمالية من الشاطئ السوري على صلة بتجارية بجزر البحر المتوسط، وخاصة قبرص ورودس ، وكريت².

إن أقدم أخبار وصلت إلى الباحثين فيما بعد عن الأموريين جاءت في وثائق سكان بلاد ما بين النهرين الذين أطلقوا عليهم في لغتهم السومرية « مارتو » وهو يقابل الكلمة الأكادية « أمورو » بمعنى الغرب لأنهم كانوا يسكنون إلى الغرب منهم؛ وكان الأموريون في بادئ الأمر قد استقروا في شمال سوريا، ثم أخذوا ينتشرون بعد ذلك في مناطقها الوسطى، وعلى الشاطئ

أوضاع بلاد الشام السياسية والاقتصادية في الفترة القديمة

✍ د. حورية عبد الله

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الملخص :

تناولت في هذا المقال الحياة السياسية والاقتصادية في بلاد الشام في الفترة القديمة، وتطور المجتمعات الإنسانية التي تعاقبت على المنطقة.

أثبتنا في هذه الدراسة بأن الفينيقيين كانت لهم ثروات اقتصادية، تتمثل في غابات الأرز والأبنوس التي كانت تستعمل في بناء السفن.

كما أشتهر الفينيقيون ببناء الموانئ، بحيث أصبح الميناء يشكل مركزاً تجارياً، أو ما يسمى بالوكالة التجارية. وفي بعض الأحيان هذه الوكالات لا تشكل مدينة بأكملها بل تعتبر كشارع أو كحي.

Résumé :

Dans cet article on a essayé de montrer précisément, la vie politique et économique en Syrie à l'époque Antique, et L'évolution des sociétés humaines.

Les phéniciens, La base de leur puissance est constituée par les forêts de cèdres et de sapins du Liban et de son prolongement septentrional l'amanus, qui fournissent le bois de construction des navires.

Les phéniciens, établissaient donc des ports rapprochés pour leurs étapes, et le port devenait le centre d'un comptoir ; certains comptoirs toutefois ne constituaient pas une ville entière ; ils se contentaient, comme à menphis, d'une rue ou d'un quartier .

حتى وصلوا إلى فلسطين.

كانت مدينة أو غاريت (رأس شمرا) في الجزء الشمالي من الساحل السوري الحالي، وورد أسمها في النصوص المصرية وفي النصوص الحيثية، منذ منتصف الألف الثاني ق.م. وأهم ما عثر عليه فيها نقوش ذات كتابات مختلفة بعضها بالأكدية وبعضها بالحيثية، والبعض الآخر بالآغاريتية التي تأثرت بالأكدية³.

أما في سوريا الداخلية فقد قامت دول هامة كان من بينها دولة مارى التي ازدادت في عصر حمورابي، إلا أنها خرجت من قبله، وقام الأستاذ/ بارو أندري (Parrot André) بعدة حفريات فيها، فاكشف أن موقع هذه المدينة الهامة هو تل التحرير، وقد كشف فيها عن قصر « زمري - ليم» وعثر في ذلك القصر على أكثر من 20.000 لوحة مكتوبة، ذكرت فيها أسماء كثيرة من دويلات المدن التي كانت مزدهرة وقتذاك مثل مدينة خلبو (حلب) التي كانت عاصمة لدويلة يمحذ ومدينة جبلة (Gubla) جبل على الساحل.

2 - العلاقة مع مصر :

أظهرت التقنيات الأثرية التي أجريت في مدينة أوغاريت (رأس شمرا)، العلاقة الوطيدة التي كانت بين فينيقيا ومصر، والذي قد يجسد تلك العلاقة بعض الأواني المصنوعة من الألبانز، تحمل بعضها رموز الفرانعة الذين تحالفوا مع ملوك أوغاريت، وهم على التوالي: تحوتمس الثالث، القرن 15 ق.م؛ وأمينوفيس الثالث، القرن 14 ق.م، وأخناتون أو أمينوفيس الرابع، القرن 14 ق.م. والملكة نفرتيتي، وحمور محب القرن 14 ق.م، ورمسيس الثاني القرن 13 و 12 ق.م؛ وشوهد على بطن أحد الأواني التي اكتشفت سنة 1952م كتابة هيروغليفية، وصور لمشاهد تبين العلاقة بين مصر وأوغاريت⁵.

ويتجلى التفاعل السياسي الدبلوماسي أكثر في عصر شوبيلو ليوما وخلفائه، الذي أدى إلى التنافس المصري الحيثي على سوريا الشمالية، وقد زودتنا هذه الوثائق الجديدة بمعلومات عن تاريخ المنطقة حتى آخر القرن الثالث عشر ق.م⁶، أي إلى زمن إمبراطورية الحيثيين، وتهدم أوغاريت الذي يقابل نهاية عصر البرونز في الشرق الأدنى؛ كما أفادتنا هذه الوثائق الأصلية المعاصرة للحوادث بمعلومات مهمة للغاية عن أوغاريت والحيثيين، وخلفائهم وأتباعهم في سوريا

الشمالية⁷.

لقد توطدت سيادة مصر العسكرية في فينيقيا في عهد الملك تحوتمس الثالث (1490 - 1436 ق.م) وقاد هذا الملك حوالي ست عشرة حملة على سورية استطاع أثناءها أن يقضي على تحالف 350 أميراً، فبلغ النفوذ المصري حتى النهر الكبير الشمالي، كما إنه استولى على عدة مدن مثل مجدو⁸ وفلسطين، وأوراد⁹ وسيمرا في شمال الساحل الفينيقي¹⁰، وقد حاول تحوتمس الثالث أن يقضي على المؤامرات السياسية التي كان بنسجها أمراء المدن الفينيقية، ضد التواجد المصري لكي يتخلص منها بطرق سياسية وبعد وفاة تحوتمس الثالث أهملت مصر الاهتمام بالنفوذ السياسي، بل أصبحت تهتم بالنفوذ الاقتصادي المتمثل في الحصول على الجزية وتأمين حدودها؛ وقد سجل أخبار انتصاراته في فينيقيا على معبده بطيبة¹¹.

بقي نفوذ مصر قويا بعد وفاة تحوتمس الثالث، وتوليت ابنه أمنحوتب الثاني ثم حفيده تحوتمس الرابع، وقد دب الضعف في هذا النفوذ في عهد أمنحوتب¹² الرابع (أخناتون) (1391 - 1358) الذي وجه اهتمامه للأمور الدينية مبتعداً عن السياسة¹³.

3 - العلاقة مع الحيثيين :

اغتنم الحيثيون فرصة ضعف مصر وانشغالها فتقدموا لبسط نفوذهم السياسي على شمال سوريا، بعد أن استمالوا إلى جانبهم عددا كبيرا من أمرائها الأموريين والفينيقيين.

كان أول اتصال بين الفينيقيين والحيثيين في عهد الملك (شوبيلو ليوما)¹⁴ مؤسس الإمبراطورية الحيثية الذي حكم في الفترة ما بين (1380 - 1353 ق.م)؛ وقد استغل هذا الأخير فرصة ضعف السلطة المصرية في عهد اخناتون صاحب الإصلاحات الدينية، ليضم بلاد الشام إلى المملكة الحيثية، ويهزم ممالك آسيا الصغرى والإمبراطورية الميتانية¹⁵. وفعلا كسب سورية الشمالية أو «Aziru d'amurru» إلى جانبه، وكانت النتيجة أن ترك في سنة 1320 ق.م إمبراطورية قوية وواسعة تمتد على النصف الشرقي من آسيا الصغرى، من البحر الأسود إلى الفرات¹⁶.

الكبيرة²⁴.

أوضاع بلاد الشام الاقتصادية :

اشتهرت بلاد الشام منذ القدم بخصوبة تربتها ووفرة أشجارها، وخاصة غابات الأرز التي ذكرتها الأسفار القديمة، والكتابات الكلاسيكية²⁵.

وعرفت الكروم منذ القدم، فقد غرسها نوح عليه السلام في جوار هذه البلاد وأشاد بها الشعراء الأقدمون، وذكرها الأنبياء²⁶. وكانت بلاد الشام تمثل بالنسبة للعالم مركز الثقل، وأهم منطقة تجتازها مختلف تيارات المبادلات الاقتصادية والفكرية والفنية بين الشرق والغرب. إن موقعها جعلها لا تستطيع أن تكون بمعزل، بل كانت على اتصال مستمر بالعالم المتمدن في جميع العصور التاريخية²⁷. ويمكن أن تأتي الزراعة في مقدمة اقتصاد بلاد الشام .

5 - 1. الزراعة :

كانت أشجار الأرز تغطي كامل المرتفعات السورية الموالية للبحر المتوسط، وقد استعملت تلك الأشجار في بناء السفن، وصنع مختلف الأثاث، كما كانت لها قيمة في تجارة الخشب الدولية خاصة مع مصر والعراق اللذين كانا يفتقدان إلى الخشب²⁸. من أشهر المناطق التي كانت تغطيها الغابات سفوح جبال أمانوس الغربية وجبال لبنان الغربية، وكانت غابات الصنوبر تغطي كلا من جبل حرمون، في حين كانت أشجار البلوط تغطي مرتفعات باشان²⁹، وجولان، أما مرتفعات فلسطين، فقد كانت تغطيها الأحراش والشجيرات الصغيرة³⁰.

كما كانت كل من أشجار الأرز والصنوبر والشربين تنمو على سفوح جبال الأمانوس، وجبال لبنان الغربية³¹.

اشتهرت كل من سوريا وفلسطين في التاريخ بإنتاجهما الكبير للحنطة والشعير³²، وتشير نصوص آلهة (Gracieux et beaux) إلى أن الفينيقيين اعتنوا بزراعة القمح والكروم، وأن القوافل كانت تجتاز الطرق التجارية في أمن وسلام³³. ويرى بارو (Barrois)، أن المرتفعات السورية هي الوطن الأصلي للقمح³⁴.

4 - الصراع الحيثي الفرعوني :

تفيد مراسلات رأس شمرا ووثائق تل العمارنة، بأن الإمبراطورية الحيثية قد عرفت توسعات في عهد الملك « شوبليولوما » وذلك على حساب ممالك المدن الكنعانية الشمالية، ابتداء من مدينة أوغاريت شمالاً إلى جبيل جنوباً، وكان الملك الحيثي المذكور ذكياً في سياسته حيث استمال إليه ممالك المدن في سوريا الداخلية وحرضها ضد النفوذ المصري، كما توغل الحيثيون في الجنوب، فالتقت حدودهم مع الحدود المصرية في فلسطين¹⁷.

ونتيجة لهذا الاصطدام عرف الساحل الفينيقي الصراع بين الحيثيين والمصريين، حيث كان هدف كل منهما السيطرة على أكبر جزء ممكن من بلاد الشام. وكانت نهاية هذا الصراع المستمر هي الاصطدام المباشر بين الطرفين في معركة قادش سنة 1296 ق.م. والتي كان يقود الجيش المصري فيها رمسيس⁽¹⁸⁾ الثاني (1290 - 1224 ق.م)¹⁹، بينما كان يقود الجيش الحيثي المتحالف مع الأموريين مواتاللي (Muwatalli). وقد ادعى كل من القائدين المصري والحيثي أن النصر كان حليفه²⁰، ومن جهة ثانية فإن ملك (أوغاريت) المعاصر لرمسيس الثاني في بداية القرن الثالث عشر ق.م، كان قد اضطر أن يبعث إلى الملك الحيثي مواتاللي بجنود متطوعين ليحاربوا إلى جانب الحيثيين في معركة قادش الشهير²¹.

قسم الحيثيون والمصريون الساحل السوري إلى منطقتي نفوذ، كان الشمال من نصيب النفوذ الحيثي والجنوب أسند للنفوذ الإسمي المصري، حيث عقدت بين المصريين والحيثيين أول معاهدة صلح وعدم اعتداء أي طرف على الآخر وذلك سنة 1280 ق.م²².

5 - غزوة شعوب البحر :

بقي تقسيم النفوذ المذكور مستمراً على هذا الحال حتى مجيء غزوة شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق.م، حيث قضت على الإمبراطورية الحيثية في آسيا الصغرى ودمرت عاصمتها بوغاز كوري [حاتوشا]؛ ثم غزت هذه الشعوب الساحل الفينيقي، فدمرت مدنه الكبرى مثل أوغاريت؛ وبهذا وضعت حداً للنفوذ المصري، وقد امتد نفوذ شعوب البحر إلى سورية وفلسطين، وحاولت أن تتوغل في مصر، فاصطدمت هناك بقوات مصرية بقيادة رمسيس الثالث²³ (1195 - 1164 ق.م) عند حدودها، واستطاع أن يردّها بفضل مجهوداته

5 - 2 الصناعة :

ساير تطور الصناعة المبادلات التجارية، وفي إطار هذه الأخيرة كانت تقنيات المواد الخام تغزو الموانئ الفينيقية على طول ساحل البحر المتوسط، ولضمان التصدير فقد كان يتم صنع أصناف خاصة من النوع الجيد، مثل الأكواب والملابس التي كانت تصنع بصيدا، وقماش الجوخ بمدينة صور، الذي كانت تستورد مادته من صقلية أو من سيريقو^{35 36} (cerigo) كما اشتهرت فينيقيا بصناعة الصباغة الأرجوانية المستخرجة من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها تسمى المريق (Murex)، فذاع صيتها في صنع المنسوجات الأرجوانية، وكان الفينيقيون يستوردون الصوف من جنوب فلسطين وشمال بلاد العرب. وفي الفترة الأخيرة من تاريخهم جلبوا الحرير من أواسط آسيا بسعر مرتفع جدا؛ ويبدو لي أنه من المستحيل أن تكون مصانع النسيج الفينيقية قد فاقت مصانع آشور وبابل ومصر، لكن نال الفينيقيون الشهرة من تجارة الصباغة ذات³⁷ اللون الأرجواني وفن الطرز الرفيع، وكانت جيل (جبلة) مركزا هاما لصناعة والمنسوجات؛ وقد سيطر المصريون عليها لكونها كذلك مركزا هاما لصناعة الورق³⁸. كما ابدع الفينيقيون في صناعة الزجاج لدرجة كبيرة، حتى أن المؤرخ الإغريقي « بليينوس » يشهد بأن الفضل يعود إليهم في اكتشاف صناعة الزجاج³⁹، بينما تدل الآثار⁴⁰ بأن المصريين عرفوا هذه الصناعة قبلهم منذ عهد بعيد، والدليل الثاني أن مادة (النطرون)⁴¹ متوفرة في مصر في حين تفتقد إليها فينيقي⁴².

فالتحليل المنطقي يجعلنا نرجح أن فينيقيا كانت تستورد مادة النطرون من مصر واقتبست منها صناعة الزجاج ثم تفننت فيه على نطاق واسع، وقد عرف الفينيقيون أنواعا عديدة من صناعة الزجاج منه الشفاف الذي خصص لصناعة المرايا والآنية، والأكواب، بالإضافة إلى الزجاج المصنفر⁴³ والقائم وحفظت مجموعة كبيرة من القطع الزجاجية والبلورية الملونة التي كانت تصنع منها القلائد⁴⁴، وقد حدد استرابون المنطقة التي كان يجلب منها الفينيقيون الرمال لصناعة الأكواب، وقال بأنها تقع بين أك (Ace) التي أصبحت تسمى (Saint Jean d'Acre) وصور.

بالإضافة إلى تلك الصناعات المذكورة استخدم الفينيقيون صناعة المعادن إذ احتكروا المناجم المتواجدة في الحوض الغربي من البحر المتوسط، وصنعوا من هذه المعادن أواني نحاسية

وبرونزية للاستعمال اليومي وأدوات قاطعة مثل الفؤوس والخناجر إلى غير ذلك⁴⁵.

وفيما يخص فن الخزفيات كان شأنهم في ذلك شأن بقية الأمم الأخرى، إذ لم يبتكروا فيه، بل اعتمدوا على التقليد بدليل أنه يحمل عدة مؤثرات، ربما جاءت من البلاد المجاورة لهم⁴⁶.

3 - المدن الفينيقية والمراكز التجارية :

كانت مدن فينيقيا في أغلب الأحيان مستقلة عن بعضها البعض إلا أنها ظلت تمتاز بطابع مشترك يميزها عن باقي مدن سوريا الداخلية، وكانت هذه المدن متفتحة للتأثيرات الخارجية، ومصدر غناها الإبحار والتجارة، وقد لعبت هذه المدن دورا كبيرا، إذ كانت كحلقة الوصل بين الحضارات التي كانت تجاورها ابتداء من بحر قزوين إلى صحراء ليبيا، ومن الهند إلى البحر المتوسط⁴⁷.

إن أساس هذه التجارة يعود الفضل فيه غابات أشجار الأرز والتنوب وأخشاب الأمانوس الأوسط التي كانت تصنع منها السفن؛ وهكذا فمنذ ثلاث آلاف سنة، كان الفينيقيون يجوبون البحر، ويمارسون التجارة⁴⁸، وبعد ذلك أسسوا موانئ قريبة من محطاتهم، وأصبح الميناء مركزا للوكالة التجارية والوكالة هي أصل مستعمراتهم، وبعض الوكالات لم تكن تشكل مدينة بأكملها، فهي كشارع أو كحي⁴⁹.

كانت صيدا تمتلك مراكز تجارية أنشأتها في قبرص ورودرس وعلى شاطئ بحر إيجا حتى البحر الأسود وذلك في الفترة الممتدة من سنة 1500 إلى 1200 ق.م⁵⁰، وعندما هدم الفلستينيون صيدا خلفتها مدينة صور التي توسعت نحو حوض المتوسط الغربي، لا سيما شبه جزيرة أيبيريا لأنها غنية بالمناجم⁵¹.

شهدت مدن الشاطئ الفينيقي في القرنين العاشر والتاسع ق.م، فترة ازدهار، وخاصة مدينة صور إذ وصلت إلى القمة في التجارة، بحيث كانت أساطيلها التجارية تنقل التجارة بين موانئ البحر المتوسط؛ ولم تكتف مدن الشاطئ بذلك بل أسست مستعمرات تجارية جديدة في مناطق نائية، وخاضت عرض المحيط الأطلسي لنقل التجارة إلى كل من قارتي أوروبا وإفريقيا⁵²؛ وفي سنة 1000 ق.م كان على عرش صور الملك أبي بعل، ثم خلفه ابنه آحiram (حيرام) الذي حكم بين عامي 980 - 936 ق.م، فقد وسع مدينة صور وبني فيها عددا كبيرا من القصور

والمعابد وجعل لها مينائين أحدهما في شمالها والثاني في جنوبها، وأقام كذلك جسرا يربط بين الشاطئ والجزيرة الصغيرة التي أمامه⁵³.

كما كانت تربط آحيرام صداقة متينة بالملك سليمان بن داود حيث أمدّه بالمعماريين والعمال الفينيقيين المهرة ومواد البناء، كالأرز الضروري لبناء القصر والمعبد لهيكل «أورشليم». وقد أشار كتاب التوراة إلى ذلك؛ كما ساعد الفينيقيون العبرانيين على إنشاء أسطول تجاري في البحر الأحمر، وأمدّهم ببخارة فينيقيين للعمل على السفن مع بخارة سليمان، واتسعت صلاته البحرية مع جزيرة قبرص وشبه جزيرة أيبيريا⁵⁴.

في القرن الثامن ق.م؛ زود الفينيقيون سرجون الثاني بالأخشاب التي استخدمت لبناء قصر خرسباد؛ وكان الآشوريون يفرضون الجزية على سكان الساحل السوري متمثلة في أخشاب أشجار الأرز، إذ يفهم من ذلك أنهم كانوا في حاجة ماسة إليه⁵⁵. ويبدو كذلك أن سنحاريب هو الآخر استورد أخشاب السفن من لبنان لبناء أسطول بحري يستعين به في حملاته البحرية على بدلا الشام⁵⁶.

4 - المبادلات التجارية :

إذا كان الهلال الخصيب يسيطر على التجارة البرية، بواسطة القوافل التي تشق طريقها إلى فارس وآسيا الصغرى، والتي استطاعت أن تؤمن التجارة من قطاع الطرق، فإننا نجد بالمقابل أهل سوريا الساحلية قد برعوا في التجارة البحرية⁵⁷.

وكان الفينيقيون تجارا بمعنى الكلمة، لهم أساليب وتقنيات خاصة، لم يستعملوا القوة في التعامل التجاري مع الشعوب، بخلاف الآشوريين الذين كانوا يجبّدون العنف ويفضلون السخرة على المبادلات التجارية، كما كانوا يرهقون التجار بالرسوم الثقيلة⁵⁸.

كانت التجارة الفينيقية تعتمد على المقايضة، وتشمل البضائع الخفيفة الوزن والمرتفعة الثمن، اتسع مجالها أكثر فأكثر حتى أصبحت تشتمل على كميات كبيرة من المنتوجات الثقيلة⁵⁹؛ وعن طريق المقايضة كانت تتم العلاقات الاقتصادية، والمبادلات التجارية بين سورية والأقطار المجاورة كدول ما بين النهرين ومصر والأناضول⁶⁰.

وجاء في رسائل ماري الاقتصادية معلومات تاريخية مهمة، حيث أن هناك عدة ألواح تبين

مراسلات موجهة من ملوك ماري إلى ملوك مختلف مدن دول ما بين النهرين، وإلى ملوك سوريا العليا، وتظهر أيضا مراسلات خاصة في اللباس والقماش، والأواني الذهبية أو الفضية، وفي المساسيك والأسورة، وفي الأختام الأسطوانية وفي جرار الخمر⁶¹.

أ - المواد التجارية المرتبطة بالزراعة :

اشتهرت بلاد الشام بتجارة النبيذ، إذ جاء ذكره في أساطير الشعوب القديمة، كالأساطير المصرية والكنعانية، والعبرانية، وامتازت فينيقيا بنبيذ وادي حلبون (قرب دمشق)، حيث ذكر حزقيال⁶² (Ezechiel) في نبوءته مشيرا إلى جودته ومصدر تجارته التي هي مدينة صور⁶³، وكانت تستورده كل من مصر وبابل⁶⁴، أما الزيتون في هذه المنطقة فكانت له أهمية خاصة في الغذاء، والمادة الدهنية، والكتاب المقدس يذكر شجرة الزيتون، والطقوس الدينية المرتبطة بها، لذا تم تصدير زيت الزيتون في إقليم البحر المتوسط للاستفادة منها في دهن الجسم والمناسبات الدينية المقدسة⁶⁵، واستوردت مصر كمية كبيرة منها لاستعمالها في التحنيط⁶⁶، ضف إلى ذلك أن صناعة العطور الزيتية بمنطقة فينيقيا ارتبطت هي الأخرى بتجارة زيت الزيتون⁶⁷، ونشطت مصر في تصدير الآنية الزجاجية التي تتمثل في جرار صغيرة، وكانت تتجه إلى سوريا ولبنان وفلسطين (بلاد الشام)، ثم تنقل تلك الأواني إلى معاصر الزيت في كل من جبيل لتماماً بزيت الزيتون وتصدر إلى مصر⁶⁸، كما استوردت مصر الأخشاب ومشتقاتها، وكل ما يتجمع في موانئ سورية من منتجات مختلف⁶⁹.

ب - المواد التجارية المرتبطة بالصناعة :

كان الفينيقيون يستوردون من مصر البضائع المختلفة والحلي وأدوات الزينة، ثم يعيدون بيعها في مختلف أنحاء العالم، والهدف من ذلك هو الكسب والريح المادي، كما قلّد الفينيقيون المصريين في صناعة التحف الصغيرة كالتماثيل البرونزية والأدوات المصنوعة من العاج، ثم يبيعونها على أساس أنها سلع مصرية⁷⁰، وقد استوردوا كذلك الأدوات والأواني المنزلية الشفافة، والأواني المعدنية، والأحواض الفضية، والأقداح النحاسية، والبرونزية، وقلّدوا صناعتها حسب الطراز المستورد⁷¹ ومن المرجح أنها من دول ما بين النهرين والعالم الإيجي، ومصر، واكتسبوا من هذه

الأخيرة سر صناعة الأكواب فعملوا على استغلالها، وغدوا من أكبر الصائغين لها، وفيما يخص المعادن تعلموا تقنيات الحديد المطرق (فن التطريق)، وتعلموا أيضا فن الزخرفة على الخزف فطبّقوها على الذهب والفضة⁷².

حقيقة أن الشعب الفينيقي شعب فنان استطاع أن ينقل شذرات أجنبية طبقها في صناعته ليكسب مقابلها ربحا طائلا.

لقد ذكرنا سابقا بأن الفينيقيين برعوا في صناعة النسيج بمختلف أنواعه منذ الألف الثاني عشر ق.م، فقد عرفوا صناعة الأقمشة الصوفية. وبعد فترة زمنية ربما في القرن السابع ق.م، عرفوا المنسوجات القطنية والسر الذي ساعد على رواج النسيج الفينيقي، هو إتقانهم فن الصباغة بالألوان الزاهية وخاصة اللون الأرجواني⁷³؛ وكانت كل من صور وصيدا تشكّلان مراكز الصباغة الأرجوانية للقماش، ويستخرج اللون من المريق [Le Murex] الذي تزدهر به المنطقة الطبيعية حيث يوجد في المياه الشاطئية⁷⁴ وقد وجد في صيدا بقايا آثار هذه المادة المستعملة في الصناعة⁷⁵.

كما اشتهرت أوغاريت منذ الألف الثاني ق.م باستخراج الصباغة الأرجوانية، مما عاد عليها بالريح الوفير، وقد تم اكتشاف آثار مصانع ومخازن لصناعة الأرجوان في ميناء البيضاء في الحي القديم لمرفأ أوغاريت يرجع تاريخها إلى ما بين القرن الخامس عشر والثالث عشر ق.م، وهكذا فإن المصادر التي كان يستخرج منها الأرجوان تقع قرب الشاطئ حيث كانت ترسو السفن المحملة بالمادة الأولية⁷⁶.

ومن جهة أخرى تشير وثائق « رأس شمرا » إلى أهمية إنتاج الأرجوان واستخدامه في صباغة الصوف الخام ومختلف الأقمشة وورد اسم الأرجوان في هذه الوثائق كالتالي «أرغمين» ويعتقد أن كلمة «أرغمين» تقابل في اللغة الآشورية كلمة «أرغمانو» (Or-Ga-Ma-Nu-) ومعناها الأرجوان الأحمر، واستعملت كذلك وثائق أوغاريت كلمة «أوكناتو» (Uk-Na-A-Tu-) للدلالة على الأرجوان أيضا، ويقصد به الأرجوان البنفسجي⁷⁷.

وهناك وثيقة أخرى اكتشفت في « رأس شمرا » تعدد الهدايا المرسلّة من طرف ملك أوغاريت إلى جاره الحيثي، وتتمثل في معادن ثمينة، وأواني ذهبية وفضية، وخمسة عشر قميصا من الصوف الأرجواني، والسبب في إرسال هذه الهدايا، أن أوغاريت كانت مجاورة لممتلكات الحيثيين

فأرادت أن تكتسب عطفهم بالإتاوات⁷⁸، ويتضح لنا من القوائم الملكية التي عثر عليها في أوغاريت أن هذه المدينة كانت مزدهرة في جميع المجالات الحضارية خلال فترة السيطرة الحيثية، التي بدأت من منتصف القرن الرابع عشر ق.م، واستمرت حتى بداية القرن 12 ق.م، حيث انتهت بزوال الوجود السياسي والعسكري للمملكة الحيثية⁷⁹.

ويتبين لنا من تسلسل عهود ملوك « أوغاريت » المنتظم استقرار الوضع السياسي في مملكة أوغاريت وأنه قد انعكس إيجابيا على ازدهار اقتصادها⁸⁰.

اعتمادا على المصادر أن سكان « أوغاريت » كانوا يزاولون الوساطة التجارية ولهم صلة بالعالم القديم، فقد أثبتوا هم الآخرين المشاركة في التجارة الدولية وتطوير الصناعة حسب الحاجة الماسة والذوق التجاري آنذاك، ومن أهم صناعاتهم نذكر صناعة الفخار الذي يمتاز بالجودة، وتنوع أشكاله، وصناعة المعادن كالبرونز الذي يدخل في الصناعة الحربية، كصناعة السيوف والخناجر والسهام والفؤوس والنصال؛ فقد تفننوا في هذه الصناعات إذ أدخلوا عليها التنزيل بالخشب والعاج والعظام وزخرفتها بالكتابة والرسوم. ويضاف إلى ذلك صناعة الحلبي والجوهرات، وأدوات الزينة والتجميل وصناعة حفر الأختام وهذه الأخيرة مقتبسة من دول ما بين النهرين⁸¹.

مما تقدم نستنتج أن بلاد الشام لعبت دورا كبيرا في المبادلات التجارية، وخاصة مدن فينيقيا التي كانت مخزنا هاما للباعة يقصدونه من مختلف جهات العالم (آشور وبابل والهند). وهو من بين الأسباب التي جعلت الآشوريين يهتمون بها ويقصدونها، وبفضل هذه العلاقات التجارية بين جميع المناطق الحضارية في آسيا، نتج عنها تأثير وتأثر في الأفكار والعادات بين مختلف الشعوب، وبذلك كان الساحل الفينيقي محط أنظار الشعوب القديمة.

1 - فخري أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثالثة، المكتبة الأنجلو مصرية، (القاهرة 1963)، ص 64.

2 - نفسه، ص 65.

3 - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار المعارف،

- 13 - حتي فيليب، لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريجة، مؤسسة فرنكلين (بيروت 1959)، ص 56.
Baramki Dimiri, op-cit, pp.23 - 24
- 14 - شوبيليو ليوما، من ملوك المملكة الحيثية الثانية، حكم حوالي 1380 - 1355 ق.م، الملك الميتاني دوشرتا، أنشأ معقلا حيشيا في سورية، ثم ضم القسم الشمالي من فينيقيا، وأثار الاضطراب ضد مصر بمساعدة ملك أوغاريت، كانت عاصمته قرقميش على الفرات جنوب جبال طوروس.
- 15 - مورتكات أنطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة سليمان علي أبو عسان، قاسم طوير، مطبعة الإنشاء، (دمشق 1967)، ص 226 ؛ Baramki, Dimitri, op-cit, p.24
Weil (Raymond), *La phénicie et l'Asie occidentale*, librairie Armand colin, (paris 1939) p.128.
- 17 - غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص 44 - 45 ؛ ibid, p.128
- 18 - رمسيس الثاني (1290 - 1224 ق.م) ثالث فراعنة الأسرة 19، انتصر على جيش خيتا في معركة قادش. فسعى إليه أعداؤه يلتمسون السلام، فمنحهم أياه ووثقه بميثاق كان الأول من نوعه في التاريخ، بالإضافة إلى ذلك أصهر إليهم حين تزوج ابنة ملكهم، وسجل قصة ذلك على باب معبد أبو سمبل.
- 19 - زايد عبد الحميد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية، (القاهرة بدون تاريخ) ص 504 - 507 ؛ Bury (J.B), c.a.h, op-cit, p.153 ؛ Baramki (D), op-cit, pp.27 - 28. عادل عبد الحق، « مدينة حمص وآثارها » الحوليات الأثرية السورية، المجلد العاشر، سنة 1960، ص 8.
- 20 - Atlas Historique, sous la direction de Geoeges Duby, (Paris 1978), p.7; Weill(R), op-cit, p.134.
- 21 - شيفر كلود، « اكتشاف خاتم ملك حيشي في رأس شمرا (أوغاريت) »، ترجمة عزة النص، المجلد الأول، الجزء الثاني، 1951، ص 277 ؛ Bury (J.B), the Cambridge Ancien History Vol III, c.a.h ؛ (Cambridge at the university Press 1965), p.138
- 22 - Arnaud (Daniel), *Le proche orient ancien*, collection études supérieures, les éditions Bordas, (Paris 1970), p.155 ; Franck (G), Op-cit, p.31.
- 23 - رمسيس الثالث أول فراعنة الأسرة 20، كانت شعوب البحر في أيامه قد بدأت غاراتها على مصر، فحاربهم في صحراء ليبيا، فاتجهوا نحو آسيا الصغرى وظفروا بخيتا، وغرهم ذلك فاندفعوا نحو مصر عن طريق البحر، فضرهم في البر والبحر وسجل ذلك على جدران معبد الجنائزي بمدينة هابو.
- 24 - Barnet (R.D) *Phrygia and peoples of Anatolia in the iron age* (Cambridge
- (القاهرة 1965)، من ص ص 438 - 439، الفونسوازيكي، « ماردوا الأمورين في نصوص ليلا »، ترجمة قاسم طوير، مجلة الدراسات تاريخية، العددان 21 و 22، سنة 1986، ص ص 177 - 178.
- 2 - Dupont (Sommer A), *Les Araméens*, (Paris 1949), p.16
- 5 - Schaeffer (Claude), « Dix - septième campagne de fouilles, *Les fouilles de Ras Shamra* » Les annales d'archéologie Syriennes, Tome III, N° 1 et 2 1953, p.124
- 6 - Ibid, p.126.
- 7 - BURY (J.B) *The Cambridge Ancient History*, Vol III, (Cambridge at the University press, 1965) p.152.
- 8 - تعرف أطلال مجدو القديمة باسم (أر ماجدون)، ويطلق عليها حاليا تل المتسلم، تقع شمال سلسلة جبال الكرمل، وتحتل مكانا استراتيجيا يؤدي من السهل الساحلي بفلسطين إلى مرج بن عامر، أصبحت مجدو ولاية آشورية ودمرت في سنة 733 ق.م، على يد تغلات فلاسر الثالث. عن الموسوعة الأثرية العالمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة 1977)، ص 653.
- 9 - تقع مدينة أرواد (Aradus) إلى الجنوب من مدينة أوغاريت (رأس شمرا). وهي قائمة على جزيرة مجاورة للشاطئ، كما تبعد عن المواقع التاريخية الفينيقية التي لعبت دورا كبيرا إلى جانب صور، جبيل، وتنقسم إلى قسمين: 1 - القسم الأول: بني على ساحل البحر، وعلى بعد ثلاث كيلومترات إلى الجنوب من مدينة طرطوس.
- 2 - القسم الثاني: بني على جزيرة صخرية تبعد بميلين عن شاطئ البحر.
- للمزيد من المعلومات عن هذه المدينة أنظر: أونوفروست، « جزيرة أرواد »، الحوليات الأثرية السورية، المجلد الرابع عشر سنة 1964، ص ص 251 - 256.
- 10 - Baramki (Dimitri), *Phoenician and the Phoenicians*, Frst édition, Published, py Khayats, (Beirut 1961), pp.2223-.
- 11 - غانم محمود الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر 1979) ص 44.
- 12 - أمنحوتب الرابع 1377 - 1358 ق.م، غير اسمه إلى اخناتون تكريما لإلهه الأعظم (أتون) أي قرص الشمس، ونقل عاصمته من طيبة مقر عبادة الإله الوطني « أمو ن » شمالا إلى مكان سماه اخناتون وهي المعروفة حاليا بتل العمارنة.

university Press, 1967), pp.67- ; Barnet (RD), The sea peoples, vol Iet II, (Cambridge university Press, 1967 pp.13- 14 – 17 – 19 ; Bury (J.B), c.a.h. vol III, op-cit, pp 188 – 189 ; Weill (R), op-cit, p.148.

ملاحظة : حسب جيمس هنري بريستد ، جاء في كتب العبرانيين بأن الفلسطينيين قدموا من كافتور (Caphtor)، وهي على الأرجح جزيرة كريت.

25 - أصفر سليم افندي، « الزراعة السورية » مجلة المشرق، العدد الأول، السنة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة 1899، ص 172.

26 - نفسه ، ص 172.

27 - سليم عادل عبد الحق، « نظرات في الفن السوري قبل الإسلام، المجلدان 11 و 12، سنة 1961. 1962، ص 4.

28 - vide (Rose), The méditerranéen in ancient world, (Cambridge 1934), p.112

29 - باشان هي حوران، ذكرت في التوراة باسم (باشان)، وفي المصادر الآشورية باسم (حورانو)، وفي المصادر الكلاسيكية باسم (أورانيتيس) (Auranitis)، وهو السهل الواسع في شرق الجولان وغرب اللجا وجبل الدروز.

30 - غلاب محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، (بيروت 1969)، ص 427.

31 - نفسه ، ص 427.

32 - الدهان سامي، الجزيرة السورية ، الطبعة الأولى (دمشق 1959) ص 224.

33 - Dussaud (René), « Le commerce des Phéniciens à la lumière du poème des dieux , gracieux et beaux», Syria, Tome17, 1936, p.62 ; Lammens (H), S.Y. la Syrie, vol, imprimerie catholique, (Beyrout 1921), p.3.

34 - Barrois (A.G) Manuel d'archéologie biblique ; T1, (Paris 1939), p.309

35 - سريغو (Cérigo)، اسمها القديم سينتار (Sythere)، تقع جنوب اليونان، وهي إحدى الجزر

اليونانية السبع المشهورة ، طولها 30 كلم شمالا وعرضها 16 كلم جنوبا.

36 - Imbert (Jean), Histoire économique, P.U.F, (paris 1965), P.32.

37 - Perrot and Chipiez, Histoire de l'art dans l'antiquité Phénicienne, TIII, (Chypre 1885), p.877 ; Mazel (Jean), Avec les Phéniciens, édition Robert

laffont, (Paris 1968), pp.8283-.

38 - نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق، ص 18.

39 - l'ancien, hist Nat, 7, 19, XXXVI 26.

40 - يقصد بها آثار بني حسن.

41 - النطرون: هو خليط من الأملاح يغلب فيها سيسكيكاربونات الصودا، تظهر على سطح الأرض في بعض الجهات من مصر، وقد أصبح يطلق الآن اسم النطرون على كل أنواع الصودا الطبيعية مهما كان مصدرها، وهو كثير الوجود بمصر، عن فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، المجلد العاشر، الطبعة الثالثة، دار المعرفة (بيروت 1971)، ص 267

42 - Perrot and Chipiez, op-cit, p.735

43 - نوع من الزجاج يخترقه الضوء، في حين لا يمكن أن تميز الأشياء من خلاله.

44 - Plin, Hist Nat, XXVI, 191 ; Mazel (J), op-cit, p. 83 ; Perrot and Chipiez, op-cit, p.740.

45 - Vide Rawlinson (G), History of Phoenicia, (london 1898), pp. 243-244. Strabo Atheneaus, Liv1. Chap 48.

46 - Vide البني عدنان، « إبلا » تاريخ العرب والعالم، (عدد خاص بسوريا)، العدد 70، سنة 1984، ص 12.. Rawlinson (G), op-cit, p.243.

47 - Thomin (Richard), Histoire de la Syrie, deuxième édition, (Paris 1929), p.28

48 - Levy (Jean Philippe), l'économie antique, (p.u.f 1964), p.19.

49 - Levy (Jean philippe) op-cit, p.19 ; Lacour-Gayet (Jacques), Histoire du commerce, Tome II, (Copyright 1950 by – éditions Spid), p 20.

50 - لوفران جورج، المرجع السابق، ص 4.

51 - نفسه، ص 15.

52 - فخري أحمد، المرجع السابق، ص 108.

53 - نفسه ، ص 108؛ Lacour – Gayet (J), op-cit, p.20

54 - الحوراني جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة نيويورك بدون تاريخ)، ص 34، سفر الملوك، .. الإصحاح الأول والثاني، فخري أحمد المرجع السابق، ص 109. Contenau (G), La civilisation phénicienne (payot.109

- 74 - Groupe d'écrivains , op.cit,p.58 ; Drower (Margaret S) c.a.h, Syria 1550 – 1400 b.c , part2, édition or volume I and II (Cambodge university press,1969),p.30 ; Parrot (André), Les Phéniciens , Edition Gallimard, (Paris 1975),p.147.
- 75 - Contenau (Georges), Mission archéologique à Sidon, librairie Paul Geuthner,(Paris 1921),p.121.
- 76 - شيفر كلود، « صناعة الأرجوان في أوغاريت (رأس شمرا) »، ترجمة عزة النص، الحوليات الأثرية السورية، الجزء الثاني، المجلد الأول، سنة 1951، مطبعة الترقى، دمشق، ص. 285.
- 77 - Thureau (Dangin),» Un comptoir de laine pourpre d'Ugarit d'après une tablette de Ras- Shamra” Syria, Tome 15, 1934, pp.140 – 141, Drower (Margaret), op.cit, pp30-31.
- 78 - Ibid,p.287.
- 79 - توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، (طبعة دمشق 1985)، ص 381.
- 80 - نفسه ، ص. 381.
- 81 - الجندي عدنان، « رأس شمرا - أوغاريت - المدينة السورية الخالدة ، الحوليات الأثرية السورية ، المجلد العاشر، سنة 1960، ص ص، 212 – 213.
- 281.p. (1927,Paris).
- 55 - الحوراني جورج فضلو، المرجع السابق، ص 39.
- 56 - نفسه ، ص 39 - 82 . op-cit.p. (G), Contenau.
- 57 - Dossin(G), « Les archives économiques du palais de Mari» , Syria, Tome 20,1939,p.108.
- 58 - لوفران جورج، المرجع السابق، ص ص 14 - 15.
- 59 - Thoumin (R), op-cit, p.34.
- 60 - عدنان البني، المقال السابق، ص 13.
- 61 - Dossin (G), op-cit, p.108.
- 62 - عاش حزقيال [Ezechiel] في القرن السادس ق. م.
- 63 - 12 - 11 pp, (Paris),Geuttiner,T1,F.Ugaritica, Claude),Schaeffer ;
- الحسيني علي، تاريخ سوريا الاقتصادي، مطبعة بدائع الفنون، (دمشق 1342) ، ص 18.
- 64 - لوفران جورج، المرجع السابق، ص 13.
- 65 - Barrois,(A.G), op-cit.p.309.
- 66 - Contenau (G) , op-cit.p.281.
- 67 - Macalister, Revue d'Archéologie Assyrienne « Gezer » 1912, p.7.
- 68 - زيادة نقولا، علم الآثار، المدينة المصرية، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الثانية، العدد 24، بيروت 1980، ص 28.
- 69 - محمود عبد الحميد أحمد، « الصلات التجارية بين مصر وسورية منذ عصور ما قبل الأسرات حتى نهاية الدولة القديمة 2280 ق.م. »، دراسات تاريخية، العددان 19 - 20 ، سنة 1985، ص 195.
- 70 - فخري أحمد ، المرجع السابق، ص 119.
- 71 - Groupe d'écrivains, Les marchands des mers, Maitland A Edey (Nedderland 1974), p.58
- 72 - Ibid . pp. 5859-.
- Drower (Margaret S), part 2, Syria 1500 – 1400 b.c Revised édition of volume I and II Cambridge university press, 1969.pp. 26 -39.
- 73 - فخري أحمد، المرجع السابق، ص 119.